

لنعش دائماً بخُلُق الأمل والتفاؤل



«كيف تنظر إلى الحياة، وكيف تفكّر في الغد؟ هل أنت متفائل وينعكس هذا التفاؤل على كل تصرفاتك في الحياة، أم العكس؟»

خُلُق الأمل والتفاؤل من الأخلاق التي تساعد على الشعور بالسعادة للفرد نفسه، وللمجتمع من حوله، لأنّه خُلُق وشعور تصدر عنه تصرفات الإنسان في الحياة. وتبدو الحياة سهلة وبسيطة مع تحقّق هذا الخُلُق، لأنّ الإنسان المتفائل والمفعم بالأمل، يرى كلّ الكون باعثاً على الأمل. فكلّ زهرة تتفتح في الكون أمل، وكلّ شجرة تُسقى أمل، وكلّ كتاب يُقرأ أمل، وكلّ سجدة مصدر للأمل.

تعالَ نعش معاً بهذا الخُلُق كلّ يوم، وكلّ لحظة، دائماً نردد معاً ونقول معاً: أنا متفائل، ولا أحب اليأس، لأنّ اليأس شعور وخُلُق خطير جداً، ومن خطورته أنّّه يُزعزع الثقة بالذات، وعقيدة القضاء والقدر يصيبها الخلل في إحساس الناس، ومن خطورة اليأس أيضاً الشعور بالإحباط، وأن تفقد النفس عزمها على القوّة والحركة. كذلك يؤدي إلى فقدان الشعور بقيمة أي هدف تسعى وراءه، واليأس يفقدك الهمة العالية التي تطمح إليها.

فالأمّة المنهزمة تكون فاشلة في كلّ شيء. وإذا نظرنا إلى العلماء، فنحن نحتاج إلى عشرين سنة حتى يأتي من عندنا مَنْ يحصل على جائزة نوبل، وهذا يعود لفقدان الأمل لدينا. فالأمّة يائسة، وهذا اليأس يؤدي إلى عدم الإنتاج في كلّ المجالات، حتى في الأدب والرياضة. فأنت لا تجد أي فريق من كلّ بلادنا حصل على كأس العالم لكرة القدم.

فلماذا هكذا حال أمّتنا؟ ولماذا لا يوجد لدينا متفوقون؟ الفشل عندما يسيطر يؤدي إلى إحباط، ويدبّ اليأس في كلّ أوصال الأمّة، فيضيع الأمل، ولا تجد مَنْ يريد أن ينتج ويعمل ويتفوق، إلى أن تنهار الأمّة.

لذلك، رأيت أنَّهُ لابدَّ أن أتكلّم عن الأمل. والأمل هو الإيجابية التي تؤدي إلى العمل، وإلى الافتناع بأنَّ هناك فائدة، وأنَّ الحلم لن ينهار.

هدفي أن يُزرع الأمل في النفس ويرسخ هذا المعنى.

أشعر بأنَّ في داخلي طاقة، ودعوتني أن يعينني لكي أستطيع أن أزرع الأمل في داخلكم. فتزيد الثقة بـ، وحسن الظنِّ به، ويزداد الدُّعاء، فتأتي النتيجة ازدياداً في الحركة وازدياداً في الإنتاج. فالأمل طاقة دافعة للحركة وللإنتاج، والتغيير لا يتحقّق من دون الأمل، والثبات لا يتحقّق إلاّ بالأمل، وأملنا في أنَّ سيَعزِّبنا ونعيش حياة كريمة، والأمل أن تكون أحوالنا أفضل، والأمل في أنَّ المئة سنة الأخيرة التي مرت بها الأُمَّة سيأتي بعدها نور وصبح وشمس.

وأريد أن أقول لكم أيضاً إنَّ أكثر دين في الدنيا تكلم عن التبشير هو الإسلام. وكلمة البشرى لم يأت ذكرها في العديد من المرات كما في هذا الدِّين. وستجد كيف ذكرت في آيات كثيرة في القرآن. وكلمة البشرى تعني إدخال الفرحة على بشرة الوجه، فتجعل قسما تفرح وتنسعد.

فانظر في القرآن: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) (البقرة/ 25). وفي أولي سور القرآن كذلك آية أخرى: (لَهُمْ فِيهَا الشُّرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (يونس/ 64). كذلك: (وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ) (آل عمران/ 170)، (وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) (الحج/ 37)، (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) (البقرة/ 155). فستلاحظ دائماً في القرآن ذكر كلمة "البشرى": (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ) (عبس/ 38-39). فأكثر من 60 آية في القرآن الكريم تتكلم عن البشرى. ثمَّ ستجد شيئاً آخر عجباً وهو معنى البشرية. وكما قال: (إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ) (ص/ 71). فالأصل في البشرية أنَّ عندها "استبشاراً". ولنلاحظ التشابه في الكلمتين: "البشرى" و"البشرى".

فالأصل فينا الأمل، وكلمة البشرى في ديننا هي كلمة أصيلة.. فهذه طبيعة ديننا. فيجب أن تكون روحنا أيضاً مستبشرة. وأطلب من الشباب خاصّة: غيروا روحكم واغرسوا الأمل في أنفسكم.

فهذا الدِّين هو الأمل. لذلك، أنا أكلمكم عن الأمل وفي أحلك الظروف. وهل تدرون ما معنى كلمة "أمل" وما هو تفسيرها في أغلب المعاجم؟ إنَّه: توقع حدوث شيء حسن في المستقبل يستبعد حصوله. فهذا هو الأمل.

فهل نحن نناقش قضية فيها ترف وبشرى وكلاهما أشياء جميلة، أم نناقش قضية عقيدية، أي قضية عقيدة؟ والأمل، هل هو فرض أم أنَّهُ فقط أمر جيّد أن يكون عندنا أمل؟

هل تصدق أنَّ الأمل فرض؟ فاستمع إلى الآية وماذا يقول فيها سيِّدنا يعقوب (ع): (وَلَا تَدِيءُ سُبُوحًا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا لِيَدِيئَهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا لِيَدِيئَهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا لِيَدِيئَهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ) (يوسف/ 87).

فهل نتكلم في فرض أم عن أمر هو فقط من باب أنَّهُ أمر حسن؟

يجب أن ننتبه لهذه الآية، وكيف أنَّ اسمي من يأس من روح الله بالقوم الكافرين. فالعزّ وجلّ، عندما خلق الأرض خلق معها مئة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة للأرض لجميع الخلائق، وادخر التسعة والتسعين رحمة. فرحمة الله واسعة. كذلك، وكما قال الله: "إنَّ رحمتي سبقت غضبي"، كذلك قال الله: (كَتَبَ رَبُّكُمْ عِلْمَ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) (الأنعام/ 54)، وأيضاً قال النبيّ (ص): "إنَّ الله كتب تحت العرش كتاباً فهو موجود عنده إلى يوم القيامة: إنَّ رحمتي سبقت غضبي". فالرحيم بنا. ثمَّ قال: "رحمتي وسعت كلَّ شيء". فإذا أنت ساورك الشك في رحمة الله أو أصابك اليأس، أو قلت ليس هناك من فائدة

وأنّ اﻻ لن يعزّنا، فإن فقدت الأمل فأنت لديك مشكلة في فرض من فروض الإسلام.

فيجب أن نزرع الأمل، وهذه مسألة عقيدة. ويجب أن يرسخ الأمل بأنّ اﻻ سيعز هذا الدّين، ويجب أن نكون متأكدين من ذلك. فارفع رأسك واستبشر وانشر في وجهك الأمل، واعمل على ألا تكون دموعك دموع خوف وبأس، بل أن تكون الدمعة حبّاً لإخوانك، وغيره على إسلامك، ووراءها إيجابية وحسن ظنّ باﻻ وثقة باﻻ وأمل.

انظر إلى نبيّنا محمد (ص) كيف كان يزرع الأمل، وفي كلّ موقف. ولننتبه إلى أمر مهم، وهو أنّ النبيّ لم يتكلم عن الأمل إلاّ في عز المحن، وهذا المعنى خطير، وكأنّ كلامه موجه إلينا ويقول لنا: أنا لا أحب أن أتكلّم عن الأمل إلاّ في أوقات الشدّة التي تمرّ بها الأمّة، وذلك لأنّه في هذا الوقت سيظهر المؤمن الجاد والتمسك بالأمل، والإنسان البعيد عن اﻻ سيفقد الأمل. والمؤمن، كلّما اشتد السواد، ازداد أمله في اﻻ. ولن تنجلي الأزمة إلاّ بأمر اﻻ. وكما قال اﻻ تبارك وتعالى: (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اﻻ كَاشِفَةٌ) (النجم/ 58).

فهل لديك هذا الأمر وهذا الإحساس؟

فلنرّ كيف أنّ النبيّ (ص) يزرع الأمل.

فيا أيّها الشاب، ويا مَن تلعب الرياضة، اذهب وتفوق، ويجب أن يكون لديك الأمل، وبأنّك ستشارك في الأولمبياد وستحصل على الميدالية الذهبية.

وسأروي لكم الأحاديث عن الأمل رواها النبيّ (ص). وأنا عندما أعرض عليكم كيف كان عهد النبيّ، فأنا أريد من خلال ذلك رفع الروح المعنوية، وأن ترفع رأسك وأن تتحرّك، وأن تكون إيجابياً، وتأخذ بأيدي الناس، وأن تستبشر.

ارفع رأسك وازرع الأمل داخلك وتحرّك به. فهل رأينا كيف كان النبيّ يزرع الأمل في الصحابة؟

انظر إلى النبيّ (ص) في غزوة الخندق. فكان أن ضرب صخرة وهم محاصرون من عشرة آلاف، فخرجت من هذه الصخرة شرارة، فقال: "اﻻ أكبر فتحت الرّوم" في عز الأزمة يتحدّث النبيّ عن الأمل. فالصحابة ينظر بعضهم إلى بعض، وكيف بهم وبالخوف الذي يحيط بهم، ثمّ ضرب النبيّ الصخرة مرة ثانية، فخرجت منها شرارة، فقال النبيّ: "اﻻ أكبر فتحت فارس"، ثمّ في الضربة الثالثة تكسرت الصخرة.

فهل نرى كيف كان الأمل عند نبيّنا؟ وهل أنت لديك الإحساس بالأمل؟

انظر إلى النبيّ أيضاً وهو في طريق عودته من الطائف، وكان قد تعرض للأذى والضرب، ولم يؤمن من أهل الطائف أي أحد. فالدنيا كانت مظلمة في وجهه، وأتاه ملك الجبال وقال له: "يا محمد، لو شئت أطبق عليهم الأخشبين". فرد النبيّ (ص) والدماء تسيل من قدميه: "لا.. عسى اﻻ أن يخرج من أصلابهم مَن يعبد اﻻ".

يقول أحد العلماء، وله كلمة جميلة: انظر إلى الأمل في حياة النبيّ، وبعُد نظر النبيّ وهو في أحلك الظروف وأشدّها، كيف يأمل باﻻ تعالى.

فهل لديك هذا الإحساس وهذا الأمل وهذا الإقبال؟

فلماذا لا نحلم؟ والأمل بدايته حلم، أن تحلم بأمر تريد أن يتحقق، فتعيش من أجله، لا بد أن يتحقق بإذن الله.

فهيّا معاً لنحيي خُلُقاً عظيماً من أخلاق الإسلام، ولنجاهد أنفسنا عليه لننال عظيم الأجر من الله تعالى.

وأخيراً، أكثر من دعاء النبي (ص): "واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئتها، لا يصرف عني سيئتها إلا أنت". ▶